اليه مستهجناً: «انت تحرّر فلسطين؟!» وكاد سعد يقتله من شدة الغيظ والغضب. امّا في قصة «الوجه الآخر» من المجموعة ذاتها، التي صيغت على شكل مجموعة لوحات فنية متناثرة، فقد رسم فيها القاص، بالكلمات، تداعيات مختلفة كجزء من ذكرياته الشخصية. وكعادته، اهتمّ عقيل برصد الظواهر الاجتماعية والسياسية، والتقط منها الجوانب المبكية والمضحكة، فسخر منها بالفكاهة، عندما قال المدير: «لن تستلموا شهاداتكم قبل ان تدفعوا للمجهود الحربي... ستدفعون ما لم نسترجع فلسطين» (ص ٦٨). امّا هذه الصورة التراجيدية للصخب الاعلامي حول المجهود الحربي، والذي استنزف ميزانية الطلاب واستنزف فيه شعور الفرد القومي، وتمّ تزييفه الى درجة ارتد عكسياً الى موقف مضاد وارتيابي على مدار سنوات طويلة حتى فقد مصداقيته، لأن الفرد العربي واصل الدفع للقضية بدون ان يسأل، وقد ظلت مصادر التمويل مجهولة احياناً بسبب طبيعة العلاقة ما بين الجماهير والانظمة القائمة على القرارات الفوقية والتعسّفية وانتشار ظاهرة السرقة والفساد والرشوة. وما دائرة العلاقة بين المدير والطلاب الاّ غلافاً تمويهياً لوجود دائرة أوسع في المجتمع، تمارس ذات الفعل ونفس السلوك وترتدي ذات الملابس وتنطق بلسان وألفاظ مماثلة.

وفي «ثلاث أغنيات على فم التاريخ»، للقاص محمد الماجد، نلمس بكائية وجودية، ويائسة، تفيض فيها آلامة ولغته الرومانسية المشحونة بالتصدّع والحسرة على ماضي المجد العربي، وضياع الارض، وتدنيس الشرف والكرامة، في قوله: «وأخيراً أخذتني جيوش الطغاة أسيراً، وراحت تجرح وجهي بحوافر خيولها. وحين ضاع فردوسي الذي اقتطعته من قلب التاريخ، وحين رأيت مدائني رماداً تذروها الرياح، وأطفالي كتلاً من اللحم مهروسة على الرماح، ونسائي عاريات في أحضان الطغاة، بكيت، واحترق قلبي من البكاء»[٢٧]. هذا هو الخيار الصادق مع النفس، الانهزامي بدون ادعاء البطولة المزيّفة. انه بكاء على واقع الاغتصاب والاحتلال.

وتتكرّر مأساة المثقف العربي عند الماجد بعد هزيمة حزيران، ممّا دفع البطل الى التواري خلف الهزيمة، كسيراً ومحطماً ومنغمساً في الادمان الكحولي، كنموذج للشخصية السلبية، بدلاً من مواجهة حقيقة الهزيمة، والخروج من مأزقها، فنسمع «بطل محمد الماجد» صوتاً واتجاهاً يتردّد في فضاء الواقع العربي بقوله: «لم يبق أمامنا سوى الصمت والموت البطيء» في حوارية الادانة والتشاؤم:

« ـ انكم تحاولون خلع اعينكم، لكي لا تمزّقكم رؤية الحقيقة.

« ـ أي حقيقة؟

« ـ سيحدّثكم عن ٥ حزيران والانسان العربي الجديد.

« ـ كفى، انتم تعرفونها.

« ـ نحن نعرفها، وانت تعرفها، حتى الكلاب تعرفها، ولكن من الذي يقولها؟ هذا هو السؤال. من الذي يقولها؟ انغرزت في الصمت مسحوقاً بخيبة مرة. انني مثل الجميع، لي ضلع في الجريمة» (ص ٨٥). فالماجد لا يبرر لنفسه، كما يفعل الآخرون، بقدر اعترافه وتعرية النفس من الداخل، كواحد من مئات المثقفين الذين وقفوا خلف «منصّة المشاهدة» يراقبون صور القتل والذبح والهزيمة دون ان يحرّكوا ساكناً؛ هذا اذا لم نقل انهم، كأشخاص وكشريحة اجتماعية، شركاء في جريمة الصمت والتبرير.

وعند القاصّة فوزية رشيد، نتعرّف على المناخ المشابه في أوصافه لمناخات وظلال خلف احمد خلف وأمين صالح، حتى وانْ لم نجد اشارة مباشرة واضحة ذات بعد دلالي لحياة الجنوب اللبناني او